



عناصر الموضوع

97	مفهوم السّعة
94	السعة في الاستعمال القرآني
98	الألفاظ ذات الصلة
97	السّعة في حق الله تعالى
1.0	السّعة نعمة إلهية
118	أنواع السّعة

مفهوم السعة

أولًا: المعنى اللغوي:

هي: الغنى والجدة والطاقة، ونقيض الضيق، قال ابن فارس: «(وسع) الواو والسين والعين: كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر، يقال: وسع الشيء واتسع، وهو ينفق على قدر وسعه، أي : طاقته وقدرته، قال تعالى: ﴿ لِنُنفِقَ ذُوسَعَةٍ مِّن سَعَتِدِ ﴾ [الطلاق:٧]»(١).

ورجل موسع: وهو المليء، والوسع: الغنى والجدة وقدرة ذات اليد، وأوسع الرجل إذا كثر ماله، قال الله عز جل: ﴿عَلَا لَهُ سِع قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٦](٢).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي الذي يدل على خلاف الضيف والعسر، وتكون في الأمكنة والحال والفعل والجود (٣).

⁽٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٨٧٠.



⁽١) انظر: مقاييس اللغة ٦/٩٩.

⁽٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٣/ ٦٦، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥/ ١٨٤، لسان العرب، ابن منظور ٨/ ٣٩٣، تاج العروس، الزبيدي ٢٢/ ٣٢٥.

السعة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (السعة) في القرآن بصيغ متعددة، بلغت ثنتين وثلاثين مرة (١). والصيغ التي وردت، هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿ وَسِعَ رَبُّنَاكُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأعراف: ٨٩]	٦	الفعل الماضي
﴿ لَا يُكَلِّفُ أَلِلَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]	11	المصدر
﴿إِنَّ رَبُّكَ وَسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم:٣٢]	10	اسم الفاعل

ووردت السعة في الاستعمال القرآني بمعناها اللغوي، وهي: كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر (٢).

⁽١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٧٥١، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب الواو ص ١٤١ - ١٤١.

⁽٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ٩٠١، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢/ ١٠٣١، المخصص، ابن سيده، ٣/ ٢١، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ٤/ ٣١٠–٣١١.

الألفاظ ذات الصلة

١ القدرة:

القدرة لغة:

الطاقة والقوة على الشيء والتمكن منه، والغنى والثراء، يقال رجل ذو قدرة ذو يسار وغنى (١).

القدرة اصطلاحًا:

الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة (٢)، والقدرة: صفة تؤثر على قوة الإرادة (٣).

الصلة بين السعة والقدرة:

أن السعة والقدرة يأتيان بمعنى الغنى وقدرة ذات اليد إلا أن القدرة فيها معنى القوة على الشيء والتمكن منه، والسعة فيها معنى زائد وهو الفسحة واتساع المكان.

٢ الطاقة:

الطاقة لغة:

الوسع، وأطقت الشيء إطاقة: قدرت عليه، والطاقة هي: القدرة وما يستطيع الإنسان أن يفعله بمشقة (٤).

الطاقة اصطلاحًا:

غاية مقدرة القادر واستفراغ وسعه في المقدور (°).

الصلة بين السعة والطاقة هو:

أن بينهما معنى مشتركًا وهو القدرة على الشيء، إلا أن في الطاقة استفراغ الوسع في المقدور.

⁽٥) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٣٣٦.



⁽۱) تهذيب اللغة، الأزهري ۹/ ۶۰، مختار الصحاح، الرازي ص ۲٤۸، المصباح المنير، الفيومي ۲/ ۲۹۲.

⁽٢) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ١٧٣، الكليات، الكفوي ص ١٠٨.

⁽٣) التعريفات، الجرجاني ١٧٣.

⁽٤) انظر: المصباح المنير، الفيومي ٢/ ٣٨١، تاج العروس، الزبيدي ٢٦/ ١٠٤، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٥٧١.

٣ الجهد:

الجهد لغة:

بالفتح، المشقة، وقيل: المبالغة والغاية، وبالضم، الوسع والطاقة؛ وقيل: هما لغتان في الوسع والطاقة، ومنه قول الله جل وعز: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّاجُهُدَهُرٍ ﴾ [التوبة: ٧٩] أي: طاقتهم تقول: هذا جهدي، أي: طاقتي (١).

الجهد اصطلاحًا:

الوسع والطاقة (٢).

الصلة بين السعة والجهد:

أن بينهما معنى مشتركًا وهو الوسع والطاقة والقدرة على الشيء إلا أن في الجهد معنى المشقة.

٤ الضيق:

الضيق لغة:

قال ابن فارس: «(ضيق) الضاد والياء والقاف كلمة واحدة تدل على خلاف السعة، وذلك هو الضيق والضيقة: الفقر، يقال: أضاق الرجل: ذهب ماله»(٣).

الضيق اصطلاحًا:

الفقر وسوء الحال(٤).

الصلة بين السعة والضيق:

أن الضيق ضد السعة.

⁽۱) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٦/ ٢٦، لسان العرب، ابن منظور ٣/ ١٣٣، المصباح المنير، الفيومي ١/ ١١٢، تاج العروس، الزبيدي ٧/ ٥٣٤.

⁽٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوى ص ١١٢ ١٣٣.

⁽٣) انظر: مقاييس اللغة ٣/ ٣٨٣.

⁽٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٠/ ٢٠٨، تاج العروس، الزبيدي ٢٦/ ٤٥.

السّعة في حق الله تعالى

إن السعة في حق الله تعالى تتضح من خلال بيان معنى اسم الله: (الواسع)، واسمه: (واسع المغفرة) بالإضافة لبيان سعة رحمة الله تعالى، وسعة علمه سبحانه، واقتران اسم الله الواسع بأسماء الله الحسنى، وذلك في النقاط الآتية:

أولًا: معنى اسم الله (الواسع):

إن من أسماء الله الحسنى اسمه: (الواسع)، وهو على وزن (فاعل)، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم تسع مرات منها قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمُشْرِقُ وَالْمُؤْرِبُّ فَأَيْنَمَا تُولُواْ فَتُمّ وَجُهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيهُ ﴿ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيهُ ﴿ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيهُ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيهُ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيهُ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيهُ ﴿ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَةُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّهُ اللَّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِينُهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ مَالُوتَ مَلِكًا قَالُواْ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمُ مَالُوتَ مَلِكًا قَالُواْ أَنَّ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَعَنُ آحَقُ إِلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَمَةً مِن الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَنهُ عَلَيْتَكُمْ وَزَادَهُ بَسَطَةً فِي الْمِلْمِ وَالْمَهُ يُؤْقِ مُلْكَهُ مَن يَشَكَأَهُ وَالْمِهِ وَاللّهُ يُؤْقِ مُلْكَهُ مَن يَشَكَأَهُ وَاللّهُ وَسِعُ عَلَيْدُ اللّهُ اللّهَ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَالْهُ وَاللّهُ وَاللّهُولُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّه

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَنْفَرَّقَا يُغَينِ اللهُ كُلًا مِن سَعَتِهِ عَوَّانَ اللهُ وَاسِعًا حَرَيْمًا (النساء: ١٣٠].

وقد ذكر المفسرون العديد من معاني هذا الاسم الكريم منها قولهم: الواسع

هو: الغني، وقيل: الواسع هو: المحيط بكل شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلُ مَنْ عِلْمًا ﴾، أي أحاط به، وقيل الواسع هو: الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء وقيل: الواسع هو: واسع الفضل، يوسع على من يشاء من عباده، وقيل: الواسع هو: الذي يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والإفضال، وقيل الواسع هو: واسع الفضل والصفات وعظيمهما، وقيل الواسع هو: العالم، فيرجع معناه إلى صفة، العلم، أي العالم، فيرجع معناه إلى صفة، العلم، أي : أنه يسع علمه كل شيء، كما قال تعالى:

ومن المفسرين من فسر قوله تعالى: والله والله والله والله عليم الله والله والله والله والله والله والله والله والتوسعة على عباده في دينهم، لا يضطرهم الى ما يعجزون عن أدائه (٢).

قال الإمام ابن جرير: «ومعنى قوله: وإن الله وَسِعُ عَلِيهُ ، يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والإفضال، وهو عليم بأعمالهم ما يغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه بل هو بجميعها عليم» (۳).

⁽۱) انظر: جامع البيان، الطبري ٥٣٧/٢، مدارك التنزيل، النسفي ١٢٣١.

⁽۲) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ۱۳۰/۱، مفاتيح الغيب، الرازي ۲۰/٤، مدارك التنزيل، النسفي ۱۲۳/۱.

⁽٣) انظر: جامع البيان ٢/ ٥٣٧.

واسم الله (الواسع) يجمع هذه المعاني كلها: ويفيد هذا الاسم: الغنى والملك المطلق والعظمة والسلطان، واتساع المكان، فهو تعالى لا يحصر ولا يتحدد، فيصح أن يتوجه إليه في كل مكان^(۱)، وهو عند إجرائه على الذات يفيد كمال صفاته الذاتية وهي: الوجود، والحياة، والعلم، والقدرة، والحكمة ^(۱).

ومن أسمائه تعالى (الموسع): وهو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (مفعل) وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ بَيْنَهَا بِأَيْدِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿ الذاريات: ٤٧].

ومعنى اسمه تعالى: (الموسع): أنه تعالى ذو الوسع والسعة، أي: القادر، وقيل الموسع: أي : الأرجاء السماء وأنحائها، أي: أنه لذو سعة، بخلقها وخلق غيرها، لا يضيق عليه شي يريده، وأنه سبحانه: الموسع على عباده بالرزق (٣).

(١) انظر: تفسير المراغى ١٩٩٨.

وأسماء الله تعالى: (الواسع والموسع) ثابتة بالكتاب والسنة، والدليل من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعُ عَلِيكُ ﴾ [البقرة: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْتُكُو وَإِنَّا لَكُوسِعُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّاللَّا الللَّهُ اللّ

والدليل من السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (إنّ أول الناس يقضى يوم القيامة... ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال)(٤).

والفرق بين لفظ (الموسع) في حقه تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْشَمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْبُو وَ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ اللَّهِ ﴾ [الذاريات:٤٧].

أي: أنه تعالى ذو الوسع والسعة والقدرة والقوة والملك والغنى المطلق، والموسع لأرجاء السماء وأنحائها، بخلقها وخلق غيرها، لا يضيق عليه شي يريده، وأنه سبحانه الموسع على عباده بالرزق والفضل والنعم.

أماً لفظ (الموسع) في حق العبد الوارد في قوله تعالى: ﴿ لَاجْمَاحَ عَلَيْكُرْ إِن طَلَقَتُمُ اللَّهِ مَا لَمُ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَيِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُقْبِرِ قَدَرُهُ مَتَعَالًا وَمُنَّعَالًا اللَّهُ عَلَى الْمُقْبِرِ قَدَرُهُ مَتَعَالًا

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم ١٩٠٥، ٣/ ١٥١٢.

⁽۲) انظر: جامع البيآن، الطبري ٥١٦/٥، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٩٨/١، النكت والعيون، الماوردي ٩٨/٤، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/ ١٦، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٧/ ١٠.

⁽٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٣٨/٢٢، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥٧٥، النكت والعيون، الماوردي ٥/ ٣٧٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥٢/١٧، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٣٩٥.

مِالْمَعُرُونِ مَعًاعَلَ لَحُسِنِينَ ﴿ البقرة: ٢٣٦].

فهي تدل على الغنى والقدرة على الإنفاق النسبي، وذكرت في مقابل المقتر وهو: الفقير الذي يكون في ضيق من وقلة ذات اليد.

ثانيًا: معنى اسمه تعالى ﴿وَسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾:

إِنْ مَنْ أَسَمَاء الله تعالى الحسنى: (واسع المغفرة)، فقد جاء هذا الاسم مضافًا إلى المغفرة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّكَ وَسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم: ٣٢].

أي: أن الله تعالى هو الغفور الذي لم يزل يغفر الذنوب، ويتوب عل كل من يتوب، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)(١٠).

وَسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾، أي: رحمته وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها، حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَعِبَادِى ٱلَّذِينَ ٱسْرَقُوا عَلَى ٱنْفُسِهِمْ لَا نَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ ٱللّهِ إِنَّ ٱللّهَ يَغْفِرُ ٱللّهُوبُ جَمِيعاً إِنَّهُ هُو ٱلْفَقُورُ الرَّحِيمُ ﴿ إِنَّ ٱللّهُ فَوَ ٱللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللل

ويكون معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبُّكَ

فقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه غفور، أي: كثير المغفرة، وأنه ذو الرحمة يرحم عباده المؤمنين يوم القيامة، ويرحم الخلائق في الدنيا.

وبين في مواضع آخر: أن هذه المغفرة شاملة لجميع الذنوب بمشيئته جل وعلا إلا من مات على الشرك لقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآةً وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ اللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ اللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْكُونُ اللَّهُ الللَّهُ اللللْهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ الللْمُلْمُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُولَا اللْمُعُلِّمُ اللْمُعُلِي اللْمُعُلِلْمُ اللْمُولَا الللْمُعُلِي اللْمُعُلِي الللْمُعُلِي اللْمُعُلِي الللْمُعُ

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا اللهِ ﴾ [النساء:١١٦].

1773,7/ PPV.

 ⁽۲) انظر: جامع البيان، الطبري ۲۲/ ٥٣٩،
 الكشاف، الزمخشري ٤/ ٢٦، تفسير القرآن
 العظيم، ابن كثير ٧/ ٤٢٩.

⁽۱) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم ۲۵۰، ۵/۸۰.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكَ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ أَلْجَنَّةً وَمَأْوَنَهُ النَّالُ وَمَا لِلْظَائِلِمِينَ مِنْ أَنصَ إِلَى [المائدة: ٢٧].

وقد بين سبحانه أن هذه الرحمة الواسعة، صادرة عن علم شامل للظواهر والبواطن، ثم أكد الله تعالى علمه بالأشياء كلها، بقوله تعالى: ﴿ فُو أَعْلَمُ بِكُرُ إِذْ أَنشَأَكُمُ مِن الْأَرْنِ اللهَ تَعَالَى فَهُ اللهُ اللهُ عَلَى الْأَرْنِ اللهَ اللهُ ا

أي: إن الله بصير بكم، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر منكم، حين ابتدأ خلقكم بخلق أبيكم آدم من التراب، واستخرج ذريته من صلبه، وحين صوركم أجنة في أرحام أمهاتكم، وتعهدكم بالنمو والتكوين في أطوار مختلفة. والجنين: هو الولد ما دام في البطن، وفائدة قوله: في بطون أمهاتكم التنبيه على كمال العلم والقدرة، فإن بطن الأم في غاية الظلمة، ومن علم بحال الجنين فيها لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد(۱).

لكن مع هذه المغفرة الواسعة قد بين في مواضع أخر أنه مع سعة مغفرته، شديد العقاب، كقوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُو مَغْفِرَةِ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِم وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْمِقَابِ ﴾ [الرعد:٢].

وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّئْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ

ثالثًا: سعة رحمة الله تعالى:

ذكر ربنا جل وعلا أنه رحمته وسعت كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتَ كُلَّ شَيَءً فَسَأَحَتُهُما لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوْةَ وَالَّذِينَ هُم بِعَايَئِنِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٦].

وقال سبحانه: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلُ رَّبُكُمُ ذُو رَحْمَةِ وَاسِعَةِ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْمِمِينَ ﴿ اللهِ الله

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ حَكُلَّ شَيْءٍ رُحْمَةً وَعِلْمَا فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَانَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ مَذَابَ الْجَمِيمِ ﴾ [غافر:٧].

وقد ذكر المفسرون في قوله تعالى:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتَكُلُّ شَيْءٍ ﴾ أربعة أقوال:
أحدها: أن مخرجه عام ومعناه خاص،
وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى:
﴿فَسَأَحَتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنَّقُونَ ﴾، قاله ابن
عباس.

⁽٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٣١٦/٣.

⁽١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٢٧/ ١٢١.

والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البر والفاجر، وفي الآخرة هي للمتقين خاصة، قاله الحسن، وقتادة، فعلى هذا، معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يرزق ويدفع عنه، كقوله في حق قارون: ﴿وَأَحْسِن كُمَا لَهُ اللَّهُ اللّ

أي: وسعت كل من يدخل فيها لا تعجز عن من دخل فيها، أو يكون يعني الرحمة التي قسمها بين الخلائق يعطف بها بعضهم على بعض حتى عطف البهيمة على ولدها(١).

والثالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد.

والرابع: أن الرحمة تسع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الأنباري، قال الزجاج: «وسعت كل شيء في الدنيا، ﴿فَسَأَحَتُبُهَا لِللَّذِينَ يَنْقُونَ ﴾ في الآخرة، قال المفسرون: معنى ﴿فَسَأَحَتُبُهَا ﴾: فسأوجبها، وفي الذين يتقون قولان: أحدهما: أنهم المتقون للشرك، قاله ابن عباس، والثاني: للمعاصى، قاله قتادة» (٣).

والآية عظيمة الشمول والعموم، كقوله تعالى إخباراً عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ حَمُّلَ شَيْءٍ وَعِلْمًا ﴾ [غافر:٧]؛ ولما روى سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله عز وجل مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر تسعة تعطف الوحوش على أولادها وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة) (٣)؛ لأنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، قال رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦].

وقال سبحانه: ﴿كُنَّبُ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةُ ﴾ [الأنعام:٥٤](٤).

وهذه الآية من العام الذي أريد به الخاص، كقوله: ﴿وَأُوبِيَتَ مِن كُلِّ مَنْمُو ﴾ [النمل: ٢٣].

فرحمته وسعت في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصةً (٥).

البغوي ٣/ ٢٨٨.

 ⁽٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم ٢٧٥٣، ٢١٠٨/٤.

⁽٤) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ٤١٥، المحرر النكت والعيون، الماوردي ٢/ ٢٦٧، المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٤٦١، مفاتيح الغيب، الرازي ١٥/ ٣٧٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٣٧٩.

⁽٥) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ٤١٥،

⁽۱) انظر: معانى القرآن، الأخفش ١/ ٣٤٠، جامع البيان، الطبري ١٥٩/١٣، التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ٤١٥.

⁽۲) انظر: جامع البيان، الطبري ١٣/ ١٥٨، النكت والعيون، الماوردي ٢/ ٢٦٧، معالم التنزيل،

والمعنى: إن رحمة الله مع أنها عامةً شاملةً، تسع الوجود كله، وهي على سعتها، وعمومها وشمولها، لا ينالها إلا أهل طاعته الذين آمنوا واتقوا.. ثم إن العصاة في الدنيا لم يحجب الله عنهم نعمه، ولم يحرمهم رزقه، ولم يصبهم في جوارحهم التي يعيشون بها مثل سائر الناس.

وأصحاب النار وهم فى النار، هم ممن وسعتهم رحمة الله، إذ هناك عذاب فوق هذا العذاب، وبلاء أكبر من هذا البلاء، وقد وقف الله بهم عند هذا الحد من العذاب الذي هم فيه، وذلك رحمة من رحمته، ولولا ذلك لضاعف لهم هذا العذاب الذي هم أهل له بما ارتكبوا من آثام (۱).

ووجه تعقيب صفة عموم العلم بصفة الرحمة أن عموم العلم يقتضي أن لا يغيب عن علمه شيء من أحوال خلقه وحاجتهم إليه، فهو يرحم المحتاجين إلى رحمته ويمهل المعاندين إلى عقاب الآخرة (٢).

رابعًا: سعة علم الله تعالى:

إن علم الله واسع وشامل، لا يخفي عليه

شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وهو بكل شيء عليم، والآيات الدالة على سعة علم الله بكل شيء كثيرة في كتاب الله العزيز، منها قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِي كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَكُلاَتَكَذَكُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُنَا ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿ إِنْكُمْ آ إِلَّهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَاهُ إِلَّا هُوَّ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمُا ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

ومما يدل على سعة علم الله تعالى الآيات التي تدل على أن الله بكل شيء عليم: ومن هذه الآيات قوله تعالى:
﴿وَاَتَ عُوااللّهُ وَيُعَكِمُ كُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ مُكْلًا وَيُعَكِمُ كُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ مُكْلًا وَاللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ البقرة: ٢٨٢].

وقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَنَوَتِ وَٱلْأَرْضِّ أَنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدُّوَلَمْ تَكُنْ لَلُهُ صَنْحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءً وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ إِلاَ نعام: ١٠١].

وكذلك الآيات التي تدل على أن الله عالم بالغيب والشهادة، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ هُوَاللَّهُ ٱلَّذِى لَاۤ إِلَاهُ وَاللَّهُ عَلِمُ النَّحْمَنُ الرَّحِيمُ النَّحْمَنُ الرَّحِيمُ النَّحْمَنُ الرَّحِيمُ النَّحْمَنُ الرَّحِيمُ النَّحْمَنُ الرَّحِيمُ النَّحْمَنُ الرَّحِيمُ النَّهُ المُحْمَنُ المُحْمَدُ اللَّهُ المُحْمَنُ اللَّهُ المُحْمَنُ المُحْمَنُ اللَّهُ المُحْمَدُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

⁽۳) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠/٥، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٥٦٧/٥، التحرير روح المعاني، الألوسي ٥٦٧/٨، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٠١/١٦.

النكت والعيون، الماوردي ٢/ ٢٦٧، المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٤٦١، مفاتيح الغيب، الرازي ٩/٩/١٥، مدارك التنزيل، النسفي ١/ ٢٠٩، البحر المحيط، أبو حيان ٤/ ٢٠٤. (١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم

الخطيب ٥/ ٤٩١، ٩٣٠. (٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/ ١١٩.

[الحشر:٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلُمُو وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ الْوَنَ عَلِمِ الْفَيْمِ وَالشَّهَالَةِ فَيُنْتِتُكُمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الْاَنْ الْمَالُهُ اللهِ وَالشَّهَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ الله

ومما يدل على سعة علم الله الآيات الدالة على إحاطة علم الله بكل شيء، وقد أوضح هذا المعنى في آيات في كتابه العزيز منها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُعْيِطًا ﴾ [النساء:١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَاتَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ تُحِيطًا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ تَحِيطًا اللَّهُ إِلَانِساء:١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُعِيطًا ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والتعبير بالإحاطة استعراض لعظمة الله وسعة ملكه، ومقدار سلطانه، الذي يشمل كل شيء، وينفذ إلى كل شيء! ومن كان هذا شأنه، وتلك صفته، فإن من السفه والضلال أن يولّى الإنسان وجهه إلى غيره، أو يعبد معبودا سواه (٢).

وإسناد الإحاطة إلى اسم الله تعالى

(۱) انظر بحث: مفهوم الأسماء والصفات، سعد ندا، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ٤٦ العام ١٤٠٠، ١٤٠٠

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ٩١٢/٣.

مجاز عقلي، لأن المحيط هو علم الله تعالى فإسناد الإحاطة إلى صاحب العلم مجاز في عدم خفاء شيء من عملهم عن علم الله تعالى، ويلزمه أنه مجازيهم عن عملهم بما يجازي به العليم القدير من اعتدى على حرمه، وتضمن ذلك الوعيد الشديد والتقريع البالغ، وإذ كان تعالى محيطاً بجميع الأقوال والأعمال، فكان ينبغي أن تستر القبائح عنه بعدم ارتكابها(٣).

خامسًا: اقتران اسم الله الواسع بأسماء الله الحسنى:

اقترن اسم الله الواسع ببعض أسماء الله الحسنى، وهذا الاقتران يتناسب مع هذا الاسم سياقًا ومعنى وهي:

١. اقتران الواسع بالعليم.

إن اسم الله (الواسع) اقترن في سبع آيات، التي ورد فيها باسمه (العليم)، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُواْ فَثَمَّ وَجَهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهَ وَاسِعُ عَلِيهُ ﴾ [البقرة:١١٥].

وقوله: ﴿ وَأَلَقَهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَأَلَقَهُ وَاسِعُ عَلِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضَّ لَى بِيَدِ ٱللَّهِ يُوَّتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهِ مُوَّتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاللَّالُولُولُولُ إِلَّا لِلْمُؤْلِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّه

فالله واسع عليم أي: واسع بالعطاء،

 ⁽٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٦١/١١، البحر المحيط، أبو حيان ٤/ ٥٨، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠/ ٣٤.

عليم بالنية، وقيل: واسع القدرة على المجازاة، عليم بمقادير المنفقات وما يرتب عليها من الجزاء (١٠).

وهو كذلك واسع الإحاطة، وواسع الصفات؛ فهو واسع في علمه، وفي قدرته، وسمعه، وبصره، وغير ذلك من صفاته؛ وهيء، وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم» (٢).

وقد ختم الله تعالى هذه الآيات باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها وهما : الواسع والعليم، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطنه، فإن المضاعف واسع العطاء واسع الغنى واسع الفضل ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله لا يناقض حكمته بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه (٣).

(٣) انظر: طريق ألهجرتين، ابن القيم ص ٣٦٤.

ولعل هذا يشير إلى: أن الله سبحانه يعطي من فضله الواسع من يشاء عن كمال العلم بمن يستحق هذا العطاء، سواءً أكان هذا العطاء رحمة، أو مغفرة، أو ملكاً، أو مالاً، أو علماً، أو أي نوع من أنواع العطاء، وعطاؤه سبحانه – فضلا عن كونه عن كمال العلم – فهو مع كمال الحكمة، وسعة المغفرة (3).

٢. اقتران الواسع بالحكيم.

وجاء اسمه تعالى: (الواسع) مقترنًا باسمه (الحكيم) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَنْفَرَّقَا يُقْنِ اللّهُ كُلُّ مِن سَعَيْدٍ مُ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَرِيمًا ﴿ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَرِيمًا ﴿ النساء: ١٣٠].

إن اقتران اسم الله الواسع بالحكيم ناسب ذلك ذكر السعة؛ لأن اسمه الواسع عام في الغنى والقدرة والعلم وسائر الكمالات، وناسب ذكر وصف الحكمة، وهو وضع الشيء موضع ما يناسب (٥٠).

قال الراغب الأصفهاني: «والواسع: عام في الغنى، والقدرة، والعلم، وعقبه بالحكم، منبها أن السعة ما لم يكن معها الحكمة، والعلم، كان إلى الفساد أقرب منها إلى الصلاح»(١).

فقد أخبر الله تعالى أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها ويغنيها عنه بأن يعوضه الله

⁽١) البحر المحيط، أبو حيان ٢/ ٢٥٨.

⁽٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٤٩.

⁽٤) انظر: المصدر السابق.

⁽٥) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٤/ ٩٠.

⁽٦) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني ٤/ ١٨٦.

من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا ﴾ الْفَقُورُ الرَّحِيمُ ﴿ الزمر:٥٣]. أي: واسع الفضل ، عظيم المن ، حكيما ، في جميع أفعاله وأقداره وشرعه، وتدبيره وقضاياه في خلقه(١).

٣. إضافة الواسع إلى المغفرة.

جاء اسم الله (الواسع) سبحانه مضافًا إلى المغفرة مرةً واحدةً : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبْنَهِرَ ٱلْإِثْمِرِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمُّ إِنَّ رَبَّكَ وَسِيعً ٱلْمُغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُو إِذْ أَنشَأَكُمْ مِن ٱلأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ آجِنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَنِّكُمْ فَلَا تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ مُوَ أَعَكُرُ بِمَنِ أَتَّقَىٰ ١٠٠٠ [النجم: ٣٢].

في إضافة اسمه سبحانه وتعالى: (الواسع) إلى المغفرة إشارة إلى أن مغفرة الله تعالى كثيرة ، حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر، والكبائر بالتوبة، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبُّكَ وَسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ إشارة كذلك إلى أن الكبائر إذا تاب الإنسان منها غفر الله له، وكأنها لم تكن، وإن لم يتب منها فهو تحت المشيئة: إن شاء غفر الله له، وإن شاء عاقبه بما يستحق، ويكون معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبُّكَ وَسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾، أي: رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها، كقوله تعالى: ﴿ اللهِ قُلْ يَعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ٱسْرَفُوا عَلَىٰ ٱنفُسِهِمْ لَا نَقَـنَظُوا

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٧/ ٥٧٧، أنوار التنزيل، البيضاوي ٢/ ١٠١، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٣٨٢.

مِن زَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ

وفي الآية امتنان من الله تعالى على المذنبين بسعة مغفرته لكل الذنوب، فكأن السامعين لما سمعوا ذلك الامتنان شكروا الله وهجس في نفوسهم خاطر البحث عن سبب هذه الرحمة بهم فأجيبوا بأن ربهم أعلم بحالهم من أنفسهم فهو يدبر لهم ما لا يخطر ببالهم(٢).

⁽٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/ ١٢٤.

السعة نعمة إلهية

إن السعة نعمة من نعم الله تعالى التي ينعم بها على من يشاء من خلقه، ويمنعها على من يشاء من خلقه، وتجري على نعمة السعة كل الأحكام الشرعية المقررة على النعم، من واجب الشكر عليها وبذلها لمن هو محتاج إليها، وذلك في النقاط الآتية:

أولًا: السعة في المال:

إن السعة في المال نعمة إلهية يمنحها الله تعالى لمن يشاء، ويمنعها عمن يشاء.

قال تعالى: ﴿ اللهُ يَبُسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَسَالُهُ وَيَقْدِرُّ وَفَرِحُوا بِالْمَيْوَةِ الدُّيْا وَمَا الْمُيْوَةُ الدُّنيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَنَعُ ﴿ اللهِ الرعد: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبَسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآهُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿ ثَ ﴾ [الإسراء: ٣٠].

وقال جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِكَنَّ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ الْمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِكَنَّ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ السَّالِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ المِلْمُ المُلْمُولِيَّ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِي

أي: كما هم متفاوتون في الدنيا فهذا فقير، وهذا غني موسع عليه، فكذلك هم في الآخرة هذا في الغرفات في أعلى الدرجات، وهذا في الغمرات في أسفل الدركات، ومع هذا التفضيل بين الناس في الدنيا والآخرة، يكون أطيب الناس في الدنيا من أسلم ورزق كفافًا(۱۱)، كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم: (قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه)(۱۲).

وهذا التفضيل في الرزق هو مقتضى خبرة الله بعباده: ﴿إِنَّهُۥكَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾: أي: إن ربك ذو خبرة بعباده، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده؛ ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق، ﴿بَصِيرًا﴾: أي: هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم (٣).

وليس المال بدال على رضا الله عن صاحبه، فإن الله يعطي ويمنع ويضيق

- (۱) الكفاف لغة هو: ما كف عن الناس وأغنى، واصطلاحًا هو: ما يكون بقدر الحاجة ولا يفضل منه شيء، ويكف عن السؤال. انظر: لسان العرب، ابن منظور ۲۹، ۳۲۳، تاج العروس، الزبيدي ۲۶ ۳۲۳، التعريفات، الجرجاني ص ۱۸۵.
- (۲) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب في الكفاف والقناعة، رقم ١٠٥٤، ٧٣٠/٢.
 - (٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧/ ٤٣٥.

ويوسع ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة، وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود رضي الله عنه (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم، وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب)(١).

فقد أوسع الله على قارون بالمال الكثير مع كفره وعصيانه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَدُرُونَ كَاتَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمٌ وَ الْيَنْلَهُ مِنَ ٱلْكُنُونِ مَا إِنَّ مَفَاقِحَهُ، لَنَنُواْ إِلَّمُصْبِ وَأُولِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحُ إِنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُ ٱلْفَرِحِينَ () [القصص: ٧٦].

كما أن العادة في نظر الناس القاصر أن السعة في المال من أسباب الملك والسلطان في الأرض، وهذا ما صوره القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيتُهُمْ إِنَّ القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيتُهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ مَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا اللّهُ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ مَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْنَا وَنَعَنُ أَحَقُ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَمَةً مِن الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَعَنُ أَحَقُ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَمَةً مِن الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ الْمُلْكُ مُن يَشَاهُ وَاللّهُ وَلَا مِنْ يَشَاهُ وَاللّهُ وَلَا لَهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ. مَن يَشَاهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

قال الإمام الزمخشري: ﴿والمعنى: كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك

لوجود من هو أحق بالملك، وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به، وإنما قالوا ذلك؛ لأن النبوة كانت في سبط لاوى بن يعقوب، والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين، ولأنه كان رجلاً سقاء أو دباغاً فقيراً، وروى أن نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكاً، فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم، فلم يساوها إلا طالوت: ﴿قَالَ إِنَّ الله المَّالَمُ المَّطَفَلُهُ عَلَيْكُمُ وهو يريد أن الله هو الذي اختاره عليكم، وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله، ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما: العلم المبسوط والجسامة (۱).

وكان بنو إسرائيل اعتقدوا أن الملك يستحق بالوراثة وكثرة المال، وكان فيهم أسباط ملوك، فلما أنبأهم نبيهم أن الله بعث لهم طالوت ملكاً، ولم يكن من بيت الملك، ولا كان ذا مال، استعظموا، فراجعوه وقالوا: ﴿وَاللّهُ يُكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْمَنا ﴾ (٣)، فرد الله تعالى عليهم بأنه: ﴿وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مِن يَتَكَا الله تعالى عليهم بأنه: ﴿وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ وَالله مَن يَتَكَا أَنْ الملك ليس بالوراثة، وإنما هو بإيتاء الله تعالى واختياره، والله واسع أي: واسع الرزق والفضل، والرحمة

⁽٢) الكشاف ١/ ٢٩٢.

⁽٣) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني ١/٥٠٧، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٥٠٧، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/ ٤٩١.

⁽۱) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٣٦٧٢، ١٨٩/٦.

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٢٧١٤، ٦/ ٤٨٢.

وسعت رحمته كل شيء، وهذا كما يقال: فلان كبير عظيم (١).

وهكذا في كل زمان يظن الجهال أن أحق الناس بالزعامة والقيادة أصحاب النفوذ والثروة، كما زعم بنو إسرائيل بقولهم: ﴿وَلَمْ يُونَّتَ سَعَةٌ مِن الْمَالِ ﴾، مع أن الأجدر بالقيادة أهل العلم والخبرة والمقدرة الشخصية والخلق الكريم كما تدل على ذلك الآية الكريمة (٢).

ثانيًا: السعة في العلم:

جعل الله تعالى السعة في العلم من نعمه على عباده التي يمن بها على من يشاء، كما ذكر الله تعالى ذلك في شأن العبد الصالح: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِينُهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْتُنَا وَنَعَنُ أَحَقُ بِالْمُلْكِ مِنهُ وَلَمْ يُوْتَ سَعَةً عَلَيْتُ مَا لَوْلَ إِنَّ اللّهَ اَصْطَفَنهُ عَلَيْتُ مَمْ وَزَادَهُ بَسَطَةً فِي الْمِلْدِ مِنهُ وَالْجِسَةِ وَاللّهُ يُؤْتِ سَعَةً وَزَادُهُ بَسَطَةً فِي الْمِلْدِ مِنْ اللّهَ اصْطَفَنهُ عَلَيْتُ مَمْ وَزَادُهُ بَسِمَا فَي الْمِلْدِ وَالْجِسَةِ وَاللّهُ يُؤْتِي وَزَادُهُ بَسَطَةً فِي الْمِلْدِ وَالْجِسَةِ وَاللّهُ يُؤْتِي مَنْ يَشَكَاهُ وَاللّهُ وَسِعُ عَلَيْكُمُ مَلْكَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ مَلْكَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُو

والبسطة: الزيادة في كل شيء، من بسط الشيء بسطاً إذا نشره ووسعه، ومنه قوله

تعالى: ﴿وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. وقال تعالى: ﴿ ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللّهُ الرِّزْقَ لِمِبَادِهِ لَبَغَوَّا فِي الْأَرْضِ وَلَنَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَالُهُ إِنّهُ بِمِبَادِهِ خَمِيرٌ بَهِ مِبِرُ اللّهِ ﴾ [الشورى: ٢٧] أي: لو وسعه عليهم لبغوا، قال المفسرون إن المراد بالعلم في الآية: هو العلم بالحروب، والظاهر علم الديانات والشرائع (٤٠).

والمعنى: زاده بسطة في العلم بالحرب، والجسم بالطول، وكان يفوق الناس برأسه ومنكبيه، وإنما سمي طالوت لطوله (٥)، أي: أعطاه من العلم، وقال بعضهم: بسطته في العلم هو أن انتفع هو به ونفع غيره فصار له به بسطة أي: جود (٢)، وبسط له في الجسم قدراً يزيد على ما أعطى أهل زمانه (٧).

قال الإمام الرازي: «وقدم العلم على الجسم ولا شك أن المقصود من سائر النعم سعادة البدن أشرف من السعادة المالية فإذا كانت السعادة العلمية راجحة على السعادة الجسمانية فأولى أن تكون راجحة على السعادة المالية»(٨).

⁽۱) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٢٨/١٣، التفسير الوسيط، الواحدي ١/ ٣٥٧.

⁽٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٢/ ٤٣٤.

⁽٣) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٣٥٧/١، تفسير القرآن، السمعاني ٢٥٠/١، تفسير الراغب الأصفهاني ٢١٠٥.

⁽٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣٨٦، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٢١٨/٢، البحر المحيط ٢/ ٥٧٥.

⁽٥) انظر: المصادر السابقة.

⁽٦) انظر: الموسوعة القرآنية، الخطيب ٨/ ٥٢.

 ⁽٧) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣٨٦، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٢١٨/٢.

⁽٨) انظر: مفاتيح الغيب ٢/٤١٨.

والعلم الواسع هو: ما أورث الخشية من الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَتُوا ﴾ [فاطر: ٢٨].

يعني بالعلماء: الذين يخافونه، وقد ذكر المفسرون أقوالا عن السلف بهذا المعنى منها ما قاله الربيع بن أنس: «من لم يخش الله فليس بعالم، قال ابن مسعود: المتقون سادة، والعلماء قادة (۱)، وقال مقاتل: أشد الناس لله خشية أعلمهم به، وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً، وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله تعالى، وروى عكرمة، عن ابن عباس، قال: من خشي الله فهو عالم. وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم، (۱).

وقال الإمام ابن كثير: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلْمَاوُا ﴾ أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر»..... ثم قال أيضا: «والعلم الذي فرض الله عز وجل

(۱) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/ ٣١٣، البحر المحيط، أبو حيان ٢/ ٥٧٥، أنوار التنزيل، البيضاوي ١٥٠١.

أن يتبع، فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا، لا يدرك إلا بالرواية» (٣).

ثالثًا: السعة في الخلق:

وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر وله القدرة والسلطان: فإن الله تعالى قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى (٤).

قال الإمام الماوردي: ﴿ يُزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾: «فيه ثلاثة تأويلات: أحدها:

⁽٢) النكت والعيون، الماوردي ٤/ ٤٧١، التفسير الوسيط، الواحدي ٣/ ٥٠٤.

⁽٣) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٨٢.

⁽٤) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٤٣٦.

أنه حسن الصوت، قاله الزهري وابن جريج، الثاني: أنه الشعر الجعد، حكاه النقاش، الثالث: يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء، قاله الحسن، ويحتمل رابعاً: أنه العقل والتمييز، ويحتمل خامساً: أنه العلوم والصنائع، ويكون معناه على هذين التأويلين: كما يزيد في الخلق ما يشاء كذلك يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء»(1).

وقال قتادة: ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ هي: الملاحة في العينين، والحسن في الأنف، والحلاوة في الفم، وقيل: الخط الحسن (٢). وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ أي: في خلق الملائكة، فقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة أسري به، وله ستمائة جناح (٣).

ولهذا قال سبحانه ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآهُ﴾ أي يزيد في خلق الأجنحة وغيره ما

يشاء مما تقتضيه حكمته لأن الله على كل شيء قدير (٤).

ومن المفسرين من عمم المعنى، وقال إن المراد بـ (يَزِيدُ فِي الْخَلِقِ مَايَشَاءُ : الوجه الحسن، ومنهم من قال : الصوت الحسن، ومنهم من قال : كل وصف محمود، وهو الأولى، أي: يزيد بعض مخلوقاته على بعض، في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات، ولذة النغمات (٥).

قال الإمام الزمخشري: «والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق، من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأت في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به وصف ، ثم ختم أشبه ذلك مما لا يحيط به وصف ، ثم ختم سبحانه - الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهُ عَلَى سَيء، عريده، لأنه قدير على فعل كل شيء، فالجملة الكريمة تعليل لما قبلها من كونه -

⁽١) النكت والعيون، الماوردي ٢ ٢٢٤.

⁽٢) الكشاف، الزمخشري ٣٠/٥٩٦، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢/ ٢٢٢، المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٤٢٩.

⁽٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم ٣٢٣٢، ٤/ ١١٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، رقم ١١٥/، ١/ ١٥٨، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

⁽٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/ ٢٢٢، المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٤٢٩.

⁽٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١٢/ ٥٠٥، التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ٣٨٢، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/ ٢٢٢، المحرر الوجيز، ابن عطية ٤٩/٤.

سبحانه- يزيد في الخلق ما يشاء، وينقص منه ما يشاء» (١).

ورأي الأمام الزمخشري هو المختار في تفيسر الآية؛ لأن الأقوال والتفسيرات قبله هو تفسير بالمثال.

يذكر الله تعالى عاد قوم هود النعمة التي أنعم الله بها عليهم، يقول: اذكروا أن الله أهلك قوم نوح واستخلفكم بعدهم وزادَكُمُ فِ ٱلْخَلْقِ بَصَّطَةً ﴾ [الأعراف: ٢٩].

أي: فضيلة في الطول والأجسام، قال ابن عباس: « يريد: أنكم أجسم وأتم من ابائكم الذين ولدوكم بأن زاد في أجسامكم طولاً وعظماً على أجسام قوم نوح، وفي قواكم على قواهم، نعمة منه بذلك عليكم، فاذكروا نعمه وفضله الذي فضلكم به عليهم في أجسامكم وقواكم، واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة له، وترك الإشراك به، وهجر الأوثان والأنداد لعلكم تفلحون، فتدركوا الخلود والبقاء في النعم في الآخرة،

وتنجحوا في طلباتكم عنده»(^{۲)}.

قال محمد رشيد رضا: «أي: واذكروا فضل الله عليكم ونعمه إذ جعلكم خلفاء الأرض من بعد قوم نوح، وزادكم في المخلوقات بسطة وسعة في الملك والحضارة، أو زادكم بسطة في خلق أبدانكم؛ إذ كانوا طوال الأجسام أقوياء الأبدان، وقد نص القرآن على قوتهم وجبروتهم وهذه الآيات هي قوله تعالى عن عاد قوم هود عليه السلام: ﴿وَينَعَوْمِ السَّعَلْمُ عَلَيْكُمُ مِدْرَارًا عَلَيْ فَوْرَا الشَّعَلْمَ عَلَيْكُمُ مِدْرَارًا وَيَريْدَكُمُ وَلاَ نَنُولُوا الْجَعِمِمِينَ وَيَريْدَكُمُ وَلاَ نَنُولُوا الْجَعْمِمِينَ وَيَريْدَكُمُ وَلاَ نَنُولُوا الْجَعْمِمِينَ وَيَريْدَكُمُ وَلاَ نَنُولُوا الْجَعْمِمِينَ وَيَريْدَكُمُ وَلاَ نَنُولُوا الْجَعْمِمِينَ وَيَريْدُمُ وَلاَ نَنُولُوا الْجَعْمِمِينَ وَيَعْمَ وَلاَ نَاوَلُوا الْجَعْمِمِينَ وَيَعْمَلُوا اللهُ وَيَعْمَ وَلاَ نَاوَلُوا الْجَعْمِمِينَ وَيْ الْهُ وَيَعْمَعُمْ وَلاَ نَاوَلُوا الْجَعْمِمِينَ وَلاَ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ وَيْرَارُهُ وَلاَ نَاوَلُوا الْجَعْمِمِينَ وَالْوا اللّهُ الل

وقوله تعالى: ﴿ أَتَبَنُونَ بِكُلِّ رِبِعِ مَايَةً تَمَّنَقُونَ ﴿ وَتَتَخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ مَعْلَدُونَ ﴿ وَلِنَا بَطَشْتُم بَطَشَتُم جَبَارِينَ ﴿ مَا قَاتَعُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ اللّهِ وَالسّعِراء: ١٢٨ - ١٣١].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادُّ فَاسْتَكَبُرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَةً أَوَلَمُ يَوَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَةً أَوَلَمُ يَرَوَا أَنَّ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَةً وَكَانُوا بِعَايِكِتِنَا يَجَحَدُونَ ﴿ فَا اللَّهُ اللّ

وقد تكون الزيادة في الخلق والبسط في الجسم في شخص واحد كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ

⁽۲) انظر: جامع البيان، الطبري ۱۲/٥٠٥، التفسير الوسيط، الواحدي ۲/ ٣٨٢.

⁽٣) المنار، محمد رشيد رضاً ٨/ ٤٤٣.

الكشاف ٣/٥٩٦.

عَلَيْمَنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَمَةً وَلَمْ يُؤْتَ سَعَمَةً مِنْ الْمَالِ مَنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَمَةً مِن الْمَالِ قَالَ إِنَّ الله اصطفنه عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسَطَةً فِي الْمِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهِ مَن يَثَمَلَهُ وَاللَّهِ وَسَعُ عَملِيمُ مُلْكَهُ وَسِعُ عَملِيمُ مُلْكَهُ وَسِعُ عَملِيمُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عَملِيمُ اللَّهُ وَسِعُ عَملِيمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَسِعُ عَملِيمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَسِعُ عَملِيمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَسِعُ عَملِيمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَةُ وَاللَّهُ وَلَّا لَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَالَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُو

رابعًا: السعة في الذرية:

إن السعة في الذرية من نعمة الله تعالى الواسعة على عباده يهبها لمن يشاء، ويمنع الذرية عمن يشاء، كما قال تعالى: ﴿ إِلّٰهِ مُلكُ السَّمَوَيَ وَالْأَرْضِ عَنْكُ مَا يَشَاءً مَهُ مُلكُ السَّمَوَيَ وَالْأَرْضِ عَنْكُ اللّٰهُ مَا يَشَاءً مَهُ اللّٰهُ مَا يَشَاءً أَلَدُ كُور ﴿ اللّٰهُ اللّٰهُ مُن يَشَاءً الذُّكُور ﴿ اللّٰهِ اللّٰهِ مَا يَشَاءً عَقِيمًا لَمَن يَشَاءً عَقِيمًا لَا الله وي ٤١٠٥.

والذرية أصلها: الصغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معاً في التعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع.

قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعَثْهَا مِنْ بَعَفِي وَاللهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ اللهُ عَلِيمُ وَاللهُ اللهُ عَلِيمُ عَلِيمُ اللهُ اللهُ عَلَيمُ اللهُ اللهُ عَلَيمُ اللهُ اللهُ عَلَيمُ اللهُ اللهُ عَلَيمُ عَلِيمُ اللهُ اللهُ عَلَيمُ اللهُ عَلَي اللهُ عَلَيمُ اللهُ عَلَي اللهُ عَلَيمُ اللهُ عَلَيمُ اللهُ عَلَي اللهُ عَلَيمُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْمُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيمُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلِي عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْ

وقال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحً إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُولًا ﴿ آ ﴾ [الإسراء: ٣]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَايَةٌ لَمُّمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَتَهُمْ فِي ٱلْفُلِكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿ أَنَا ﴾ [يس: ٤١](١).

وقد بين الله تعالى أنه بسط ذرية آدم، ومن حمل مع نوح، ومن ذرية إبراهيم

وجعل فيها النبوة.

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنَ حَمَلْنَا مَعَ نُوج وَمِن ذُرِيَّةِ إِبْرَهِيمَ وَإِسْرَةِ بِلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَلَجْنَبَيْنَا ۚ إِذَا نُنْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَنتُ الرَّحْمَنِ خُرُوا سُجَّدًا وَيُكِيًّا ١ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله [مريم: ٥٨].

وقد ذكر الله تعالى أنه بسط ذرية من حمل مع نوح حتى جاء منهم موسى وهارون عليهم السلام من بني إسرائيل في قوله عز وجل: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحً اللهِ مِنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ كُورًا اللهُ ا

يعني موسى وقومه من بني إسرائيل ذرية من حملهم الله تعالى مع نوح في السفينة وقت الطوفان (٢).

ويلاحظ من خلال هذه الآية أن من أسباب البسط في الذرية العبادة والشكر حيث علل سبحانه وتعالى بقاء ذرية نوح بكونه عبدًا شكورًا.

والمعنى: وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومه، وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم

⁽١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣٢٧.

⁽۲) النكت والعيون، الماوردي ۲۲۸/۳، تفسير القرآن السمعاني ۳۰۱/۳، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 27/۱۵، التحرير والتنوير، ابن عاشور ۲٦/۱۵.

إنما هم ذرية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح (١).

وجعل الله تعالى في ذرية نوح وإبراهيم النبوة والكتاب.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي دُرِيَيَتِهِمَا ٱلنَّبُوّةَ وَٱلْكِتَبُ فَيَعَلَّنَا فِي دُرِيَيَتِهِمَا ٱلنَّبُوّةَ وَٱلْكِتَبُ فَيَعَلَّمُ مُهَتَلِ وَكَيْرُ مِنْهُمْ فَسِقُونَ آنَ ﴾ فَيَنْهُم مُهْتَلِ وَكَيْرُ مِنْهُمْ فَسِقُونَ آنَ الحديد: ٢٦].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبَّنَا لَهُ السَّحَنَى وَيَعْقُوبَ صُكلًا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّنِهِ دَاوُردَ وَسُلَيّمَنَنَ هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّنِهِ دَاوُردَ وَسُلَيّمَنَنَ وَأَيْوَبُ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَنرُونَ وَكُذَالِكَ بَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿ اللَّهِ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَنرُونَ وَكُذَالِكَ بَجْزِى اللَّهُ عَسِنِينَ اللَّهُ وَرُكِرِيّا وَيَحْبَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسُّ كُلُّ مِن الصَّدلِحِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمَدلِحِينَ ﴿ اللَّهُ وَالسَّمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشُنَ وَلُوطًا وَكُلًا فَضَالًا عَلَى الْمَدلِمِينَ وَلُوطًا وَكُلًا فَضَالًا عَلَى الْمَدلِمِينَ وَلُوطًا وَكُلُو فَضَالُنَا عَلَى الْمَدلِمِينَ وَلُوطًا وَكُلُو فَضَالُنَا عَلَى الْمَدلِمِينَ وَلُوطًا وَكُلُو فَضَالُنَا عَلَى الْمَدلِمِينَ

قال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن بشير.

وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ٨/٠١٨.

() وَمِنْ ءَابَآيِهِ مَ وَذُرَيَّتُهِمْ وَإِخْوَنِهِمْ أَلَجَنَبَيْتُهُمْ وَمَعْدَيْهِمْ وَإِخْوَنِهِمْ وَاجْتَبَيْتُهُمْ وَمَعَدَيْنَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ () ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِى بِهِ مِن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِدٍ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَهُ مَلُونَ هِ اللّهِ الْمَلْكُولُ وَلَا أَنْهَرَكُواْ مَنْ اللّهُ وَاللّهُوفُ فَإِن يَكُفُرُ بِهَا عَنْهُمُ الْكُنْ وَاللّهُوفُ فَإِن يَكُفُرُ بِهَا مَكُولُونَ هَا لَيْسُواْ عَهَا يَكُفُرُ بِهَا مَكُونِينَ هُدَى اللّهُ فَيِهُدُ دَهُمُ الْمَسَدِ أَنْهُ وَلِهُ لَكُولُونَ مَلَى اللّهُ فَي هُدَدُهُمُ الْمَسَدِ أَجْدَرًا إِنْ هُو إِلّا ذِكْرَى اللّهُ مَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللل

فأما نوح عليه السلام: فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به، وهم الذين صحبوه في السفينة، جعل الله ذريته هم الباقين، فالناس كلهم من ذريته، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام: فلم يبعث الله عز وجل بعده نبياً ، إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيّتِهِ ٱلنُّبُوّةَ وَٱلْكِئْلَ﴾ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيّتِهِ ٱلنُّبُوّةَ وَٱلْكِئْلَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي دُرِيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ ﴾ [الحديد: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِهَكَ الَّذِينَ أَنْهَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّتِنَ مِن ذُرِيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنَ حَمَلْنَا مَعَ نُوجٍ وَمِن ذُرَيَّةِ إِنْرَهِيمَ وَإِسْرَى بِلَ وَمِمَّنَ هَدَيْنَا وَالْجَنْبَيْنَأَ إِذَا نُنْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَنْتُ الرَّحْمَنِ خَرُّواْ سُجَدًا وَيُكِيًّا ١ أَنْكُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

⁽۲) جامع البيان، الطبري ۲۳/ ۲۰۲، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ۳/ ۲٦٦.

ويخبر تعالى أنه منذ بعث نوحاً عليه السلام لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته ، وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالته، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَتِهِ النَّبُوَّةَ فَي الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيتِهِ النَّبُوَّةَ الله وسلامة أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثُمُّ قَفَيْتَنَا عَلَى الْمُ مَا الله عليهما، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثُمُّ قَفَيْتَنَا عَلَى الله وسلامه عليهما، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثُمُّ قَفَيْتَنَا عَلَى الله وسلامه عليهما، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثُمُ قَفَيْتَنَا عَلَى الله وسلامه عَلَيْهِ مِنْ مُرْبَعَلُهُ الله وسلامه الله وسلامه عَلَيْهُ الله وسلامه عَلَيْهِ الله وسلامه عَلَيْهِ الله وسلامه عَلَيْهُ الله وسلامه عَلَيْهُ الله وسلامه الله وسلامه عَلَيْهِ الله وسلامه عَلَيْهُ الله وسلامه الله وسلامه عَلَيْهُ الله وسلامه والله الله والله الله والله والله

وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه – وهم الحواريون رأفة ، أي : رقة ، وهي الخشية ورحمة بالخلق (١).

وقد بسط الله في ذريات أمم وشعوب وأقوام نعمة منه بعد إن كانوا قلة، قال تعالى في قوم شعيب عليه السلام: ﴿وَالذَّكُرُوا لِهُ اللَّهُ اللَّالَّالِلَّا اللَّالَّالِلْمُ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ ا

والآية تدل على أن نبي الله شعيباً عليه السلام ذكرهم بنعمة الله عندهم بأن كثر جماعتهم بعد أن كانوا قليلًا عددهم، وأن رفعهم من الذلة والقلة، يقول لهم: فاشكروا

الله الذي أنعم عليكم بذلك، وأخلصوا له العبادة، واتقوا عقوبته بالطاعة، واحذروا نقمته بترك (٢).

وقد يبسط الله في ذرية شخص بعينه كما ذكر عن نبيه أيوب عليه السلام كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَيُوبِ إِذْنَادَىٰ رَبِّهُ وَأَيْوِبِ إِذْنَادَىٰ رَبِّهُ وَأَيْوِبِ إِذْنَادَىٰ رَبِّهُ وَأَيْ مَسَّنِي الطُّبُرُ وَأَنتَ أَرْحَمُ الزَّيْمِينَ (رَبِّهُ وَأَنتَ أَرْحَمُ الزَّيْمِينَ (مَسُرِّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الزَّيْمِينَ اللهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن صُرِّ وَمَاتَيْنَهُ أَهْ لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن صُرِّ وَمَاتَيْنَهُ أَهْ لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن صُرِّ وَمَاتَيْنَهُ أَهْ لَهُ وَمِشْلَهُم مَّعَهُمْ رَحَمَةً مِّنَ عِندِنَا وَمَاتَيْنَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحَمَةً مِّنَ عِندِنَا وَمَاتَيْنَا لَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحَمَةً مِّنَ عِندِنَا وَمَاتَلَهُ وَمِثْلُهُم مَّعَهُمْ رَحَمَةً مِّنَ عِندِنَا وَمِنْ عِندِنَا لَهُ وَمِثْلُهُمْ مَّعَهُمْ رَحَمَةً مِّنَ عِندِنَا لَكُونَا لِلْعَنْدِينَ اللهُ إِلَيْنَا اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

قال ابن عباس: «لما دعا أيوب استجاب الله له، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين، رد إليه أهله ومثلهم معهم» (٣).

وقال الإمام الماوردي في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَمَاتَيْنَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّمَهُمْ ﴾ «ففي هبتهم له ومثلهم معهم خمسة أقاويل: أحدها: أن الله تعالى رد عليه أهله وولده ومواشيه بأعيانهم، لأنه تعالى أماتهم قبل آجالهم ابتلاء ووهب له من أولادهم مثلهم، قاله الحسن.

الثاني: أن الله سبحانه ردهم عليه بأعيانهم ووهب له مثلهم من غيرهم قاله ابن عباس.

⁽١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٢٠.

⁽۲) انظر: جامع البيان، الطبري ٥٦٠/١٢، النكت والعيون، الماوردي ٢/ ٢٣٩، التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ٣٨٧، البحر المحيط، أبو حيان ٥/ ١٠٨.

⁽٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/١٨.

الثالث: أنه رد عليه ثوابهم في الجنة ووهب له مثلهم في الدنيا، قاله السدي.

الرابع: أنه رد عليه أهله في الجنة، وأصاب امرأته فجاءته بمثلهم في الدنيا»(١).

أنواع السّعة

يمكن تقسيم السعة إلى سعة في الحال، وسعة في المكان.

وبيانها في النقاط الآتية:

أولًا: السّعة في الحال:

إن المراد من السعة في الحال هو حال الشخص في قدرته على الإنفاق الواجب والمندوب، مع مراعاة يساره وفقره، فلكل حالة أحكامها، ويتضح هذا في الفقرتين الآتيين:

السّعة في الإنفاق على المطلقات.

اعتبر القرآن الكريم السّعة في الإنفاق على المطلقات وهي: الاستطاعة والقدرة في الإنفاق، وذلك بأن تكون النفقة بقدر حالة الطرفين بالنسبة لليسار والإعسار وأمثالهما، بحيث يكون ذلك بلا ضرر فيه ولا إضرار، وذلك في الأمور الآتية:

أولًا: نفقة الرضاع.

قال تعالى: ﴿ ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَكَ هُنَّ حَوْلِيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةُ وَعَلَالُمُولُودِ لَهُ يِرْفَهُنَّ وَكِسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسُ إِلَّا وُسْعَها لَا تُضَكَآزَ وَالِدَهُ مِولَدِها وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدِها وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ [القرة: ٢٣٣].

⁽١) النكت والعيون ٥/ ١٠٢.



قال أبو جعفر الطبري: «لا تحمل نفس من الأمور إلا ما لا يضيق عليها، ولا يتعذر عليها وجوده إذا أرادت، وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك: لا يوجب الله على الرجال من نفقة من أرضع أولادهم من نسائهم البائنات منهم، إلا ما أطاقوه ووجدوا إليه السبيل، كما قال تعالى ذكره: ﴿ لِلنَّفِقُ دُوسَكَمْ مِنْ سَعَيْدٍ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَلَا الطلاق: ٧]»(١).

والمعنى: أي: على والد الطفل نفقة أمه المطلقة مدة الإرضاع، أي: طعامهن ولباسهن بالمعروف، وهو قدر الميسرة كما فسره قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسُ إِلّا وَمُنَّعَهَا ﴾، يعني: طاقتها، ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على مقدار ذلك، ونظيره: ﴿عَلَى المُعَيِّرِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُعَيِّرِ قَدَرُهُ ﴾ ونظيره: ﴿عَلَى المُعَيِّرِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُعَيِّرِ قَدَرُهُ ﴾

وقوله تعالى: ﴿لَا يُكُلِفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا الفقير مثل ما يكلف الغني، وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعَدَ عُسَرِيْسُكُ ﴾ أي : بعد ضيق وشدة غنى وسعة ورخاء ، وكان الغالب في ذلك الوقت الفقر والفاقة، فأعلمهم الله تعالى أن يجعل بعد عسر يسراً وهذا كالبشارة لهم بمطلوبهم (۱).

ثم نهى تعالى عن المضارة بكل أنواعها وأشكالها وممن صدرت: ﴿لاَ تُضَاّرَ وَالِدَهُمُّ وَأَلْدِهَا وَلَا مُوَلُودُ لَهُ وَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ وَلَدِهَا وَلا مَوْلُودُ لَهُ وَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَالِكَ ﴾ [البقرة:٢٣٣] بأن يكلف أن يعطيها أكثر من أجر مثلها أو خارجاً عن وسعه وطاقته واعتبار الوسع في النفقة مبني على العرف والعادة (٣).

فلا يكلف أبو الولد في الإنفاق عليه وعلى أمه إلا قدر ما تتسع به مقدرته، ولا يبلغ إسراف القدرة لا تضار والدة بولدها، أي: يأخذ ولدها منها بعد رضاها بإرضاعه ورغبتها في إمساكه وشدة محبتها له ولا مولود له، يعني الأب بولده، بطرح الولد عليه يعني: لا تلقي المرأة الولد إلى أبيه وقد ألفها، تضاره بذلك(٤).

ولهذا قال سبحانه: ﴿لا تُضَكَآرُ وَالِدَهُ الْوَارِثِ مِثْلُ الْوَارِثِ مِثْلُ وَلِدَهُ اللهِ وَلَا مُولُوثُ لَهُ وَوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَالِكَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: لا يحل أن تضار الوالدة بسبب ولدها، إما أن تمنع من إرضاعه، أو لا تعطى ما يجب لها من النفقة،

⁽١) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/ ٤٥.

⁽۲) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٥٦٤/٣٠، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٨/ ١٧٠،

البحر المحيط، أبو حيان ١١/ ١٩٩.

⁽٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/٥٥، المحرر الوجيز، ابن عطية ١/٣١١، لباب التأويل، الخازن١/١٦٦، البحر المحيط، أبو حيان ٢/١٠٥.

⁽٤) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ٣١٥، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/ ٤٣٢، محاسن التأويل، القاسمي ٢/ ١٥٤، التفسير المنير، الزحيلي ٢/ ٣٢٠.

والكسوة أو الأجرة، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِولَدِهِ ﴾ بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له، أو تطلب زيادةً عن الواجب، ونحو ذلك من أنواع الضور (١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَالِكَ ﴾ أي: أن عليه مثل ما على والد الطفل من الإنفاق على والدة الطفل والقيام بحقوقها وعدم الإضرار بها، وهو قول الجمهور وقيل: في عدم الضرار لقريبه، قاله مجاهد والشعبي والضحاك (٢).

كما يعتبر الشرع الحكيم الحال سعة ويساراً وإعساراً وفقراً في الإنفاق على الأقارب الواجب الإنفاق أو المندوب من غير المذكورين في الآيات كالوالدين والأولاد: فقد استدل بالآية من ذهب من الحنفية والحنبلية إلى وجوب نفقة الأقارب بعضهم على بعض، وهو مروي عن عمر بن الخطاب وجمهور السلف، ويرجح ذلك بحديث الحسن عن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ملك ذا رحم محرم، عتق عليه) (٣).

جاء فيم ۱**۸**۶ م

(۱) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ۱۰۶. (۲) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ۱۵/۳، التحرير والتنوير، ابن عاشور ۲/۲۳۲، محاسن التأويل، القاسمي ۲/ ۱۵۶.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العتق باب فيمن ملك ذا رحم محرم، رقم ٣٩٤٩، ٢٦/٤ والترمذي في سننه، أبواب الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما

ثانيًا: نفقة السكني.

قال تعالى: ﴿ أَسَكِنُوهُنَ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وَمِثُ سَكَنتُم مِن وَجِيثُ سَكَنتُم مِن وَجِيثُمْ وَلَا نُصَارُوهُنَ الْنَصَيَّقُواْ عَلَيْهِنَ وَإِن كُنَ أُولَئتِ حَلْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَ حَقْلَهُنَ فَإِن أَرْضَعْنَ خَلَهُنَ فَإِن أَرْضَعْنَ لَكُمُ وَعَلَهُنَ فَإِن أَرْضَعْنَ لَكُمُ وَعَلَهُنَ فَإِن أَرْضَعَ لَكُمُ أَخْرَىٰ أَن الْمَنْفَقُ ذُو سَعَةِ تَعَاسَرُيُمُ فَسَأَرْضِعُ لَكُم أُخْرَىٰ أَن اللهُ فَقَد فَو سَعَةِ مِن سَعَتِقِد وَمَن قُدِر عَلَيْهِ وِزْقَدُ فَلْيُنفِقَ مِمَّا عَانَنهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ بَعْد الطلاق: ٢-٧].

أي: اسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذي سكنتم ﴿مِن وُجُدِكُم ﴾: يقول: من سعتكم وعلى قدر طاقتكم التي تجدون؛ وإنما أمر الرجال أن يعطوهن مسكناً يسكنه مما يجدونه، حتى يقضين عددهن (٤).

والوجد هو: المقدرة ويكون المعنى: اسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذي سكنتم ﴿مِن وُجُدِكُم ﴾ يقول: من سعتكم التي تجدون، حتى يقضين عددهن (٥٠).

﴿ وَلَا نُضَارُو هُنَّ لِلْصَيِعُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ [الطلاق:٦]. نهى الله تعالى عن مضارتهن، بالتضييق

جاء فیمن ملك ذا رحم محرم، رقم ١٣٦٥، ٣/ ١٣٨.

وصححه الألباني في الإرواء، رقم ١٧٤٦، ٢/ ١٦٩.

⁽٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٢٥٦، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/ ١٨٧، الكشف والبيان، الثعلبي ١/ ٢٦٣.

 ⁽٥) انظر: معاني القرآن، الأخفش ٢/ ٥٤٤، جامع البيان، الطبري ٣٣/ ٤٥٦.

عليهن في المسكن والنفقة، ﴿ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمَّلٍ فَأَنِفَقُواْ عَلَيْهِنَّ حَقَّ يَضَعَنَ حَمَّلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٦].

لأن عدتها تكون بوضع الحمل، فلها النفقة إلى أن تضع حملها، وإن كانت مطلقة ثانية أو ثالثة، فإنها تستحق النفقة إذا كانت حاملاً، ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُو فَنَاتُوهُمُنَّ أَجُورِهُنَ ﴾ حاملاً، ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُو فَنَاتُوهُمُنَّ أَجُورِهُنَ ﴾ [الطلاق: ٢]. يعني: حق الرضاع وأجرته بالتراضي (١).

ثالثًا: متعة الطلاق.

قال تعالى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُو إِن طَلَقَتُمُ النَّسَلَةَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَ أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَ فَرِيضَةً وَمَيْعُوهُنَ عَلَى المُقْتِرِ فَدَرُهُ مَتَنعًا وَمَيْعُوهُنَ عَلَى المُقْتِرِ فَدَرُهُ مَتَنعًا بِالْمَعُوفِيُ عَلَى المُعْرِفِينَ عَلَى المُقْتِرِ فَدَرُهُ مَتَنعًا بِالْمَعْمُوفِي عَلَى المُقْتِرِ فَدَرُهُ مَتَنعًا المُقرقة تُولِي المُعْرِفِينَ عَلَى اللَّهِ عَلَى المُعْرِفِينَ عَلَى المُعْرِفِينَ عَلَى اللَّهُ عَلِيقِهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّعْلَالِمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى ا

حيث أباح تبارك وتعالى طلاق المرأة بعد العقد عليها، وقبل الدخول بها، بل ويجوز أن يطلقها قبل الدخول بها والفرض لها، إن كانت مفوضة وإن كان في هذا انكسار لقلبها، ولهذا أمر تعالى بإمتاعها وهو تعويضها عما فاتها بشيء تعطاه من زوجها بحسب حاله، على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره.

قال الإمام ابن عاشور: «والمتعة هي:

عطية يعطيها الزوج للمرأة إذا طلقها»(")، «وأصل المتعة والمتاع: ما ينتفع به الإنسان من مال أو كسوة أو غير ذلك، ثم أطلقت المتعة على ما يعطيه الرجل للمرأة من مال أو غيره عند طلاقها منه لتنتفع به، جبراً لخاطرها، وتعويضاً لما نالها بسبب هذا الفراق»(٤).

والموسع هو: الغنى الذي يكون في سعة من غناه. يقال: أوسع الرجل إذ كثر ماله، واتسعت حاله، والمقتر هو: الفقير الذي يكون في ضيق من فقره. أقتر الرجل أى: افتقر وقل ما في يده (٥٠).

⁽۱) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٢/٣١٥، النكت والعيون، الماوردي ٣٣/٦، معالم التنزيل، البغوي ١١١/٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/١٧٤.

⁽٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٨٥.

⁽٣) التحرير والتنوير ٢/ ٤٦٢.

⁽٤) التفسير الوسيط، طنطاوي ١/١٥٥.

وانظر: تاج العروس، الزبيدي ٢٢/ ١٨٤، المطلع على ألفاظ المقنع، البعلي ص ٣٩٨.

⁽٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/ ١٢٠، تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٤٨٩، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/ ٤٦٢.

جَيلًا (الأحزاب:٤٩](١).

«لأن الله أمر بالتمتيع للمطلقة قبل البناء مطلقاً فكان عمومها في الأحوال كعمومها في الذوات، وليست آية البقرة بمعارضة لهذه الآية إذ ليس فيها تقييد بشرط يقتضي تخصيص المتعة بالتي لم يسم لها صداق لأنها نازلة في رفع الحرج عن الطلاق قبل البناء وقبل تسمية الصداق، ثم أمرت بالمتعة لتينك المطلقتين فالجمع بين الآيتين ممكن» (٢٠).

وظاهر هذه الآية وجوب المتعة لكل المطلقات عملاً بظاهر قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلِّقَاتِ مَتَنَعٌ مِالْمَعُوفِ مَقَّا عَلَى النَّمَ اللهُ عَلَى النَّهُ وَالبقرة: ٢٤١].

ولكن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِن طَلَقَتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَكُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمُ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

لم يجعل للتي طلقت قبل الدخول وقد فرض لها مهر إلا نصف ما فرض لها، ولم يجعل لها متعة، لأن وروده في مقابلة قوله تعالى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ إِن طَلَقَتُمُ النِّسَاةَ مَا لَمَ تَعَالَى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ إِن طَلَقَتُمُ النِّسَاةَ مَا لَمَ تَعَالَى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ إِن طَلَقَتُمُ النِّسَاةَ مَا لَمَ تَعَالَى: فَريضَةً فَوَمَتَعُومُنَ عَلَى تَعَسُّوهُنَ أَوْ تَقْرضُوا لَهُنَ فَريضَةً وَمَتَعُومُنَ عَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَعَا بِالمَعْمُونِ حَقًا المُقارِعَةً المُقالِمَةُ المَعْمُونِ حَقًا عَلَى المُقارِعَةً المَعْمُونِ حَقًا عَلَى المُقارِعَةً المُقارِعَةً المَقالِعَةً المَعْمُونِ حَقًا المُقارِعَةً المُقارِعَةً المُقارِعَةً المُقارِعَةً المُقارِعَةً المُقارِعَةً المُعْمُونِ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

يجعله كالبيان لمفهوم القيد الذي هو

عدم الفرض، فيكون كالصريح في أن التي طلقت قبل الدخول ولم يفرض لها مهر ليس لها متعة (٣).

السّعة في الإنفاق على الأقارب والمساكين والمجاهدين.

اعتبر القرآن الكريم السّعة في الإنفاق على الأقارب والمساكين والمجاهدين حيث نهى الله تعالى أولي الفضل والسعة، وأولوا الفضل هم: أهل الطول والصدقة والإحسان، والسعة: أي : الجدة أن يحلفوا بأن لا يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله لقوله تعالى: ولا يأتُلِ أُولُوا أَلْفَضْلِ مِنكُرَّ وَالسَّعَةِ أَن يُؤتُوا أُولي القربى والمساكين وأله المهاجرين في سبيل الله لقوله تعالى: أَوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَجِوبِينَ فِي سَبِيلِ الله لقوله تعالى: الله ولي القربي أَن يُؤتُوا أَلْهُ الله والما الله القوله تعالى: الله والمهاجرين في سَبِيلِ أَوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَجِوبِينَ فِي سَبِيلِ الله والمؤلِق أَن يُغْفِر الله والنور: ٢٢].

أي: لا تحلفوا (٤) أن لا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين، وهذا في غاية

⁽١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/ ٤٦٢.

⁽٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/ ٢٢.

⁽٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٦/ ٤٧٧، فتح القدير، الشوكاني ١/ ٢٨٩.

⁽٤) معنى تأتلي: تحلف، هو مأخوذ من الألية، والألية اليمين، ومعنى أن يؤتوا: أن لا يؤتوا أولي القربى، والمعنى: ولا يحلف أولو الفضل منكم والسعة أن لا يعطوا أولي القربى والمساكين.

انظر: جامع البيان، الطبري ١٩/ ١٣٥، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣٦/٤، التفسير الوسيط، الواحدي ٣/٣١، أحكام القرآن، ابن العربي ٣/٣١٧، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٩.

الترفق والعطف على صلة الأرحام، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَيْعَفُوا وَلَيْصَفَحُوا ﴾ أي: عما تقدم منهم من الإساءة والأذى؟ وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم، وهذه الآية نزلت في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح ابن أثاثة بنافعة بعد ما قال في عائشة ما قال .

ونزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وكان حلف أن لا يفضل على مسطح بن أثاثة، وكان ابن خالته بسبب سبه عائشة رضي الله عنها فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة، وكان ابن خالة الصديق، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها، وكان الصديق رضي الله عنه معروفاً بالمعروف، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُرُ وَالسَّعَةِ ﴾ تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُرُ وَالسَّعَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا يَأْتُلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُرُ وَالسَّعَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُرُ وَالسَّعَةِ ﴾ والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى

(۱) انظر: جامع البيان، الطبري ۱۳۰/۱۹ معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ۲۳٪۳، التفسير الوسيط، الواحدي ۳۱۳/۳، تفسير القرآن، السمعاني ۳۱۷، أحكام القرآن العظيم، ابن العربي ۳۷۷۳، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ۲۱/۲، أضواء البيان، الشنقيطي ۱۸ ۲۵۶.

مسطح الذي كان يجري عليه (٢).

وأعاد الإفضال على مسطح وعلى من حلف أن لا يفضل عليه وكفر عن يمينه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، في مقابلة ما كان (٣).

ويمكن القول بالقاعدة الأصولية إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وعليه فتعتبر السعة في الإنفاق على الأقارب والمساكين والمجاهدين.

ثانيًا: السّعة في المكان:

أثبت القرآن الكريم سعة المكان الدالة على عظمة الله جل وعلا والغنى المطلق له سبحانه من خلال ما يأتى:

١. سعة كرسي الله تعالى.

أثبت الله سبحانه وتعالى سعة كرسيه في أعظم آية من كتابه الكريم.

قال تعالى: ﴿ اللهُ لا إِللهَ إِلا هُوَ اللهَ أَلَى اللهَ اللهُ اللّهُ اللهُ ا

- (۲) انظر: جامع البيان، الطبري ۱۹/ ۱۳۵، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ۲۹،۳۱، التفسير الوسيط، الواحدي ۳/ ۳۱۳، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ۲۹/۲.
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، رقم ٢٦٦١، ٣/ ١٧٣، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم ٢٧٧٠، ٤/١٢٩/٤.

بِشَىءِ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَكَآءً وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضُ وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضُ وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ الْسَكَالِي اللّهِ (٢٥٥).

وقوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ ﴾ : بمعنى شمل واتسع وأحاط، يعني: أن كرسيه محيط بالسماوات والأرض، وأكبر منها، لأنه لولا أنه أكبر ما وسعها.

وفيها إثبات عظيم قدرة الرب جل وعلا حيث ذكر سعة كرسيه السماوات والأرض وأنه سبحانه: ﴿وَلَا يَتُودُهُ مُوعَظَّهُما ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أي: لا يكرثه ولا يثقل عليه (١).

قال ابن منظور: «الكرسي: معروف واحد الكراسي، والكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه، فهذا يدل على أن الكرسي عظيم دونه السماوات والأرض، والكرسي في اللغة والكراسية إنما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضا»(٢).

والكرسي ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع جمهور السلف، القول الراجح في معناه هو: إن الكرسي شيئ عظيم يضبط

السموات والأرض، نسلم به بدون بحث في تعينه، ولا كشف عن حقيقته، ولا كلام فيه بالرأي دون نص عن المعصوم (7), إلا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهم بأن الكرسي موضع قدمي الرب عز وجل (3).

وليس هو العرش، بل العرش أكبر من الكرسي وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن السماوات والسبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة) (٥٠).

وما روي في ذلك عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض) (٢٠).

من ذلك وغيره يتبين أن القول الفصل

⁽۱) انظر: جامع البيان، الطبري 7 / ۳۹۷، المحرر الوجيز، ابن عطية 1 / ۳٤۱، مفاتيح الغيب، الرازي 1 / ۲۳۷، تفسير القرآن العظيم ابن كثير 1 / ۲۳۰، التحرير والتنوير، ابن عاشور ۲۳/۳.

⁽٢) لسان العرب ٦/ ١٩٤.

⁽٣) تفسير المراغي ٣/ ١٤.

⁽٤) أخرجه عبد آلله بن الإمام أحمد في كتاب العرش السنة ٥٨٦، وابن أبي شيبة في كتاب العرش ٢٦، وابن خزيمة في التوحيد ٢٤٨، والحاكم في المستدرك ٢٨٢/٢ وقال: صحيح عن شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه الدارقطني في كتاب الصفات ٣٦ عن ابن عباس موقوفا عليه، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٣ للطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني في مختصر العلو٥٤: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

⁽٥) سبق تخريجه قريبًا.

⁽٦) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ٣٤١، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/ ٢٣.

في هذه المسألة هو: ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الكرسي هو موضع قدمي الرب عز وجل، وبهذا القول جزم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى وغيرهما من أئمة العلم وأهل التحقيق (١).

٢. سعة السموات.

يخبر الله تعالى بأنه بنى السماء بأيد، أي: بقوة وقدرة تتناسب مع عظم هذا المخلوق، وأن السماء في اتساع دائم.

قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا بِأَيْنِهِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿ إِلَارِياتِ:٤٧] (٢).

وقد ذكر المفسرون في معنى الآية أوجه: أحدها: لموسعون في الرزق بالمطر، قاله الحسن.

الثاني: لموسعون السماء، قاله ابن زيد. الثالث: لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء.

الرابع: لموسعون بخلق سماء مثلها، قاله مجاهد.

الخامس: لذو سعة لا يضيق علينا شيء

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ١٨٠/٤، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥٧/٥، النكت والعيون، الماوردي ٥/ ٣٧٣، محاسن التأويل، القاسمي ٩/ ٤٤، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨١١.

(٤) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٢٧/٢٥، التفسير التفسير الوسيط، طنطاوي ٢٦/١٤، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ١٤/٣٥.

نریده^(۳).

وفي الآية إشارة إلى امتداد السماء واتساعها، كما يبدو ذلك لأي ناظر ينظر إليها، حيث لا يبلغ الإنسان لها حداً، فحيث كان من عالم الأرض، فإن السماء تظله على امتداد الآفاق حوله، ولعل هذا من بعض ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْمَنْكُ مَا يَشْكُ وَ الطَرِدِ الْكَانِي مَا يَشْكُ وَ الطَرِد الْكَانِي .

وهذه الآية تصف سعة الكون أو أن نظرية تمدد الكون تتوافق مع هذه الآية؟ من الناحية الأولى نرى أن (أينستين) يتخيل سعة هذا الكون بأنه يتسع لبلايين من السدم وكل سديم منها يحتوي على مئات من النجوم المكهربة.

أما نظرية تمدد الكون، فقد لاحظ علماء الفلك في أقصى ما يدركه المنظار علامات تدل على حركة السدم الخارجية حركات نظامية، واستدلوا منها على أن جميع السدم الخارجية أو (الجذر الكونية) تبدو على أنها تتباعد عن مجموعتنا الشمسية بل

⁽۱) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٦٠، اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم ٢/ ١٥١.

⁽۲) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/ ٤٣٥، التفسير الوسيط، الواحدي ١٨٠/٤، تفسير القرآن، السمعاني ٥/ ٢٦٢، الجامع لحكام القرآن، القرطبي ٢١/ ٥٦، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٣٩٥.

إنها تتباعد عن بعضها البعض، وعلى هذا الأساس فإن الكون ليس ساكناً إنما يتمدد كما تتمدد فقاعة الصابون أو كما يتمدد البالون ولكن الأجسام المادية هي تحافظ على أحجامها(١).

وقد تقدم عدد من العلماء الكونيين بنظريات تشرح لغز الكون المتمدد، منهم: الدكتور: هابل، رائد الباحثين في السدم فقد لاحظ أن هناك نزعة واحدة تسود هذه المجموعات النجمية الواسعة الشاسعة البعد، وهي أنها أميل إلى الإدبار منها إلى الإقبال كما لاحظ أن سرعة الإدبار تزيد بازدياد أبعاد هذه الجزر الكونية (٢).

قال محمد إسماعيل إبراهيم: "ويقرر العلم الحديث أن ملكوت الله العظيم والممتد بلا نهاية والمتسع باستمرار فيه بلايين النجوم ذات الأقدار المختلفة حجماً ولمعاناً وكل واحد من هذه النجوم يتفجر كما انفجرت شمسنا مكونة مجموعاتها من الكواكب الدائرة حولها، وبهذه الانفجارات الكثيرة للنجوم يتسع نطاق ملك الله، ثم إن هذه النجوم كانت أجزاء من سدم هائلة هي

السحب الكونية التي كانت متصلة ثم انفصل بعضها عن بعض بسبب هذه الانفجارات التي حدثت بصورة دقيقة ومحكمة وتركت ما تناثر منها في حركة منتظمة بلا خلل ولا تصادم بينها، وهذا مصداق قوله تعالى:

[الذاريات:٤٧].

والحقائق الثابتة والمشاهدة بأجهزتنا الدقيقة في الصور الفوتغرافية العديدة التي حصلنا عليها تدلنا دلالة واضحة على أن جميع ما في الكون الشاسع من حجم الذرة إلى حجم أكبر النجوم لا تتحرك أو تدور أو تسبح في أفلاكها إلا بحكمة فائقة وتقدير متناه في الدقة حيث لا شيئ مطلقاً في ملك الله يتحرك حركة عشوائية لانه سبحانه قدر كل شيئ تقديراً وأحكمه إحكاماً»(").

وتحدثت الآية الكريمة عن حقيقة البناء الكوني في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْتُمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْنِكِ وَ الكاريات:٤٧].

وقد ثبت يقينًا أن البناء الكوني منظم ومعقد ومحكم، وأن في الكون هندسة مبهرة فالكون هندسة مبهرة فالكون يحوي جسورًا من المجرات، ويحوي كذلك خيوطًا عظمى كل خيط يتألف من آلاف المجرات ويمتد لمئات البلايين من السنوات الضوئية، فسبحان من أحكم هذا البناء وحدثنا عنه

⁽٢) انظر: المصدر السابق ص ١٨٠.



⁽٣) انظر: القرآن وإعجازه العلمي ص ١٧٢.

⁽۱) انظر: معجزات القرآن العلمية، حامد حسين قدير، منشورات مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الرابعة عشرة، العددان الخامس والخمسون والسادس والخمسون، رجب، ذو الحجة ٢٠٤٢هـ ص ١٧٩.

قبل أن يكتشفه علماء الغرب بقرون طويلة. وهنا يتفوق القرآن على العلم من جديد، فالعلم يتحدث عن (فضاء)، والقرآن يتحدث عن (بناء)، وكلمة (بناء) هي الكلمة الأنسب علميًا لوصف السماء، فسبحان القائل: ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثُلِ إِلّا مِثْنَكَ بِٱلْحَقِ

والقائل سبحانه: ﴿ اللَّهُ زَرُّلَ أَحْسَنَ اللَّهُ زَرُّلَ أَحْسَنَ اللَّهُ مَرَّلُ أَحْسَنَ اللَّهُ مَرَّلُ أَحْسَنَ اللَّهُ مَرَّلُ أَحْسَنَ اللَّهُ مَرَّلُ أَحْسَنَ اللَّهُ مَرَّالًا أَحْسَنَ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَرَّالًا أَحْسَنَ اللَّهُ مَنْ أَلَّهُ مَا أَلَّهُ مَا اللَّهُ مَا أَلَّهُ مَا اللَّهُ مَا أَلَّهُ مَا أَلَّا أَلَّهُ مَا أَلَّ اللَّهُ مَا أَلَّهُ مَالَّهُ مَا أَلَّهُ مَا أَلَّهُ مَا أَلَّا أَلَّهُ مَا أَلَّا أُلَّا أُلَّالًا مُعْلَى مَا أَلَّهُ مَالَّالِهُ مَا أَلَّالًا مُعْلًا مُعْلَمُ مَا أَلَّا أُلَّا أَلَّا مُعْلَمُ مَا أَلَّهُ مَا أَلَّالِهُ مَا أَلَّهُ مَا أَلَّالًا مُعْلَمُ مَا أَلَّهُ مَا أَلَّالًا مُعْلَمُ مَا أَلَّا أُلَّا أُلَّالًا مُعْلَمُ مَا أَلَّا أُلَّا أُلَّالًا مُعْلَمُ مَا أَلَّا أَلَّا مُعْلَمُ مَا أَلَّالًا مُعْلَمُ مَا أَلَّالَّا مُعْلَمُ مِا أَلَّا أُلَّا مُعْلًا مُعْلَمُ مَا أَلَّا مُعْلًا مُعْلَمُ مَا أَلَّالًا مُعْلَمُ مَا أَلَّالًا مُعْلًا مُعْلًا مُعْلِمُ مَا أَلَّالًا مُعْلًا مُعْلًا مُعْلًا مُعْلًا مُعْلًا مُعْلًا مُعْلِم

والقائل: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

ويفهم من الآية الكريمة أن هذه الكون يتسع باستمرار من بداية خلقه إلى يومنا هذا، فقال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْيُدِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ فَقَالَ تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْيُدِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ لَا الذاريات: ٤٧].

وعبر عن هذا الاتساع باسم الفاعل (موسع)، واسم الفاعل يكون في الأزمنة الثلاثة (الماضي والحال والاستقبال) كما يقرر ذلك علماء اللغة العربية، أي: أن هذا الاتساع بدأ في الماضي وهو مستمر في عصر نزول الآية وسيستمر إلى ما شاء الله تعالى، وتوسع الكون حقيقة لم يتمكن الإنسان من إدراكها إلا في الثلث الأول من القرن العشرين، ودار حولها الجدل حتى الكريم بإقرارها قبل أربعة عشر قرنًا أو يزيد، ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرًا لتلك

الإشارة القرآنية الباهرة غير الله الخالق تبارك وتعالى، فسبحان خالق الكون الذي أبدعه بعلمه وحكمته وقدرته، والذي أنزل لنا في خاتم كتبه، وعلى خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم عددًا من حقائق الكون الثابتة، ومنها تمدد الكون وتوسعه فقال عز من قائل: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهُما بِأَيْنُهِ وَإِنَّا لَعُوسِعُونَ مِنْ الله عليه وسلم عددًا من حقائق المُوسِعُونَ من قائل: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهُما بِأَيْنُهِ وَإِنَّا لَعُوسِعُونَ الله الله عليه وسلم عددًا من المنابعة والمنابعة المنابعة المن

لتبقى هذه الومضة القرآنية الباهرة مع غيرها من الآيات القرآنية، شهادة صدق بأن القرآن الكريم كلام الله، وأن سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم كان موصولا بالوحي، معلمًا من قبل خالق السماوات والأرض، وأن القرآن الكريم هو معجزته الخالدة إلى قيام الساعة (۱).

٣. سعة الأرض.

أخبر الله تعالى أن أرضه واسعة للمهاجرين في سبيله، والذين قد يظنون أن في الهجرة بعد عن الأوطان وربما يحصل ضيق في العيش.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَمَةً وَمَن يَغُرُجُ مِنَ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمُوْتُ فَقَدً وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا اللّهِ ﴾

(١) انظر بحث: الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُون ﴾، عادل الصعدي، منشور في موقع جامعة الإيمان المنة.

[النساء: ١٠٠].

قال الإمام الماوردي: «في المراغم خمسة تأويلات:

أحدها: أنه المتحول من أرض إلى أرض، وهذا قول ابن عباس والضحاك.

والثاني: مطلب المعيشة، وهو قول السدي.

والثالث: أن المراغم المهاجر، وهو قول ابن زيد.

والرابع: يعني بالمراغم مندوحة عما يكره.

والخامس: أن يجد ما يرغمهم به، لأن

كل من شخص عن قومه رغبة عنهم فقد أرغمهم، وهذا قول بعض البصريين، وأصل ذلك الرغم وهو الذل. والرغام: التراب لأنه ذليل، والرغام بضم الراء ما يسيل من الأنف. والظاهر: أنه المنع الذي يتحصن به ويراغم به الأعداء. قوله ﴿وَسَمَهُ عَنِي: الرزق، قاله غير واحد منهم قتادة حيث قال: في قوله: ﴿ يَجِدُ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَمَةً ﴾ في قوله: ﴿ يَجِدُ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَمَةً ﴾ أي : من الضلالة إلى الهدى، ومن القلة إلى الغني (١١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَسَمَتُ ثَلاث تَأويلات:

أحدها: سعة في الرزق، وهو قول ابن عباس.

والثاني: يعني من الضلالة إلى الهدى ومن العيلة إلى الغنى، وهو قول قتادة. والثالث: سعة في إظهار الدين (٢).

وقد بين الله تعالى ظلم من لم يهاجر من أرض الشرك إلى أرض الإسلام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَغَّنَهُمُ الْمَلَتَهِكَةُ طَالِعِي اَنْفُسِهِم الْمَلَتَهِكَةُ طَالِعِي اَنْفُسِهِم قَالُواْ فِيمَ كُنُمُ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةَ فَنُهَا حِرُوا فِيمَ أَنْفُ اللَّهِ وَسِعَةَ فَنُهَا حِرُوا فِيمَ أَنْفُ اللَّهِ وَسِعَةً فَنُهَا حِرُوا فِيمًا قَالُونَ مَا وَمُهُم جَهَنَّمٌ وَسَاءَتْ مَصِيرًا اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ال

[النساء:٩٧].

والآية توجب المهاجرة إلى المدينة مع المسلمين، وذلك أن الله تعالى لم يرض بإسلام أهل مكة حتى يهاجروا، روى البخاري قال: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا حيوة، وغيره، قالا: حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود، قال: قطع على أهل المدينة بعث، فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة، مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس: «أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين، على المشركين يكثرون سواد المشركين، على السهم فيرمى به فيصيب أحدهم، فيقتله – أو يضرب فيقتل» فأنزل الله: ﴿ إِنَّ النَّيْنَ تَوَفَّهُمُ

⁽١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٣٤٥

⁽٢) النكت والعيون ١/ ٢٢٥.

وانظر: تفسير القرآن، السمعاني ١/ ٤٧٠ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/ ٣٤٧.

ٱلْمَلَتِهِكُمُ ظَالِمِيَّ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء: ٩٧]().

وذلك أنهم خرجوا مع المشركين یکثرون سوادهم فقتلوا معهم^(۲).

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)^(٣).

واستثنى الله تعالى من هؤلاء: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرَّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (اللهُ فَأُولَتِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمَّ وَكَاكَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (النساء: ٩٨-٩٩].

وهذه الآية عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة، وذلك أنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾، قال مجاهد وعكرمة والسدي: يعنى طريقًا (٤). والأمر بالهجرة من أرض الشرك

والمعاصى عام يشمل جميع المؤمنين.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٣٤٤.

قال تعالى: ﴿ يَكِعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِيِّنِي فَأَعْبُدُونِ ﴿ ﴾ [العنكبوت:٥٦].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلْقُوا رَبَّكُمَّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَاذِهِ ٱلدُّنْمِ الْحَسَنَةُ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً إِنَّمَا بُوكَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابِ 💮 🕻 [الزمر: ١٠].

فقال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿ يَاعِبَادِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِيَّنِي فَأَعْبُدُونِ إن تعذرت العبادة عليكم في بعضها فهاجروا ولا تتركوا عبادتي بحال، وبهذا علم أن الجلوس في دار الحرب حرام، والخروج منها واجب (٥).

وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر (٢).

وفي الآيات تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة فأخبرهم الله تعالى بسعة أرضه، وأن البقاء في بقعة على أذى الكفار ليس بصواب، بل الصواب أن يتلمس عبادة الله في أرضه مع صالحي عباده، أي: إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان بها فهاجروا إلى المدينة فإنها واسعة، لإظهار التوحيد بها.

قال الزجاج: «أمروا بالهجرة من

⁽١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إَنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَّئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ رقم ٩٦ ٩٥، ٦/ ٤٨

⁽٢) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ١٠٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٣٤٣.

⁽٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد باب في الإقامة بأرض الشرك، رقم ٢٧٨٧،

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٣٨١٢، ٢/ ٤٣٠٠. آ

⁽٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٥/ ٢٩.

⁽٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص

الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله، وكذلك يجب على من كان في بلدة يعمل فيها بالمعاصي، ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له أن يعبد الله حق عبادته»(١).

وقال ابن جبير وعطاء: "إن الأرض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية، وتلزم الهجرة عنها إلى بلد حق. وقاله مالك، وقال مجاهد: إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا»(٢).

وقال سفيان الثوري: «إذا كنت بأرض غالية فانتقل إلى غيرها تملأ فيها جرابك خبزًا بدرهم، وقيل: المعنى: إن أرضي التي هي أرضى الجنة واسعة، فاعبدون حتى أورثكموها فإياي فاعبدون»(").

ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها، خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك، فوجدوا خير المنزلين هناك: أصحمة النجاشي ملك الحبشة، فآواهم وأيدهم بنصره، وجعلهم آمنين في بلاده، ثم بعد ذلك هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الباقون

إلى المدينة النبوية المطهرة (٤).

وفي بيان سعة الأرض للمؤمنين تطمين لهم في كل وقت وحين بأن أرض الله واسعة للهجرة في كل عصر، وعلى هذه الآيات يستند المؤمنون الذين يضايقون وينكل بهم في بعض بلدان الأرض بسبب عقيدتهم ودينهم بأن لهم متسعًا في الأرض يمكنهم من الفرار بدينهم إلى بلدان أخرى بحيث تكون لهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية والبعد من البلدان التي يضيق عليهم فيها.

موضوعات ذات صلة:

الإسراف، الاقتصاد، الإنفاق، البخل، الرزق، الكسب، المال، اليسر

⁽۱) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٥٥، التفسير الوسيط، الواحدي ٣/ ٤٢٤.

⁽۲) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٥٧/١٣.

⁽٣) انظر: المصدر السابق ١٣/ ٣٥٨.

⁽٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٦٩/٢١، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣٤٧/٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٢٦٢.